المحاضرة الثالثة: النقد الأسلوبي.

تمهيد:

عيب على البنيوية قصورها على التحليل الأفقي للنصوص الأدبية من خلال وقوفها على البنية اللغوية الداخلية فقط دون تجاوزها إلى الأنظمة الخارجية الأخرى بما فيها المرجعيات السياسية والثقافية والدينية .....، وعيب عليها قولها بموت المؤلف وعزلها الأعمال الأدبية عن مؤلفيها عزلا تاما، وإغراقها في الغموض والإبهام والمراوغة والتعالي، ثم خلع الأعمال الأدبية عن جذورها.

عيب عليها أيضا أنها أسهمت إلى حد بعيد في إيذاء النصوص الأدبية برسوم وجداول معقدة، ومنحنيات بيانية ومما زاد النفور من البنيوية " مغالاتها في الإيمان بالوضعية، ومشايعة العلم في دقته، فلجأت إلى تطبيق طرائق كالوصف الخالص، واستنباط النتائج واستعمال الإحصاء والجداول، فصار معجمها النقدي عصيا على المتخصصين- حتى لا نقول على القراء العاديين- لهذا وجدت نفسها تعيش في دائرة مفرغة، ونتائجها لا تزيد على حدود الوصف الخالص، ومن هنا هاجمها كثير من المفكرين والنقاد سواء كانوا غربيين أم عربا، لأنها أصبحت تحت طائلة الوقوع في استلاب البنية وضمنيتها" [1].

يضاف إلى هذا تجاهلها للتاريخ وللمعنى تجاهلا مطلقا، وفي الأخير عجزها عن تحقيق ما وعدت به من قدرتها على تفسير الأعمال اللغوية حسب النموذج اللغوي فقط لذلك طرحت على الساحة النقدية المعاصرة بدائل نقدية أخرى من بينها البديل الأسلوبي.

ومن هنا أخذ النقد القائم على الأسلوبية ينبثق من الفكر اللغوي والأدبي ويتخذ لنفسه مسارا، وتبوأت نظرية الأسلوب المنزلة التي تعرف ضمن تيارات النقد المعاصر.

---

[1] محمد بلوحي: **الخطاب النقدي المعاصر**، ط 2، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2002، ص 92.

وكان من ثمار تطور الدرس اللساني المعاصر ظهور مناهج وتيارات مثل الأسلوبية أثرت الآراء النقدية المعاصرة وأمدتها بأشكال إجرائية جديدة بغية فهم وتأويل النصوص الأدبية في جميع أشكالها.

تعريف الأسلوب:

عرف الأسلوب تعار يف عدة منها ما يتعلق بالمبدع ومنها ما يتعلق بالمتلقي ومنها ما يتعلق بالنص.

"ويعتبر مفهوم الأسلوب نقطة الانطلاق الأساسية في الدراسة الأسلوبية وقد تعددت التعريفات في مجموعات يمكن إيجازها في ثلاث:

أولا: مجموعة التعريفات التي ترد الأسلوب طبقا للنموذج التواصلي المعروف في الدراسات الإنسانية إلى المرسل.....

ثانيا: تعريفات تتركز حول الخواص المتمثلة في النص ذاته بغض النظر عن قائله.....

ثالثا: تعريفات تحاول أن تمسك بالأسلوب بالنظر إلى الطرف الثالث للتواصل وهو المتلقي....." [1].

يمثل "صلاح فضل" لمجموعة التعريفات الأولى بتعريف "دي بوفون" "الأسلوب هو الرجل نفسه" فالأسلوب هنا يرتبط بطريقة صاحبه في تشكيل لغته الشاعرية التي تميزه عن غيره وهذه اللغة تخيلية، جميلة تثير الدهشة في المتلقين.

أما التعريف الثاني فيتعلق بالنص كبنية داخلية مغلقة حيث ينحرف النص عن المستوى العادي، الأسلوب هنا يمثل كسر لنمط اللغة العادية نحو جمالية وفنية، وهناك تعريف ثالث للأسلوب ينطلق من القارئ والمتلقي (أنصار نظرية التلقي) التركيز على المتلقي باعتباره هو الذي يميز بين الخواص الأسلوبية ويكشفها ويبرز انحرافها عن طريق ما تحدثه من أثر.

---

[1] صلاح فضل: **مناهج النقد المعاصر**، د.ط، إفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، 2002، ص 88-89.

وهذه التعريفات جميعها لن تستطيع القبض على معنى الأسلوب لذلك ظهرت العديد من التعريفات الأخرى كتعريف "ميشال ريفاتير" الذي يؤكد فيه أن الأسلوب يمكن إبرازه من خلال النص الأدبي الذي عن طريقه يتم "إبراز بعض عناصر سلسلة الكلام، ويحمل القارئ على الانتباه إليها بحيث إن غفل عنها يشوه النص، وإذا حللها وجد لها دلالات تميزية خاصة، بما يسمح بتقرير أن الكلام يعبر والأسلوب يبرز"[1].

ومن التعريفات الحديثة التي حاولت أن تجمع بين جميع عناصر النص تعريف معجم أكسفورد الذي عرف الأسلوب بأنه "طريقة التعبير المتميز لكاتب معين أو لخطيب أو لمتحدث، أو لجماعة أدبية أو حقبة أدبية من حيث الوضوح والفاعلية والجمال وما إلى ذلك[2].

وايما كان تعريف الأسلوب إلا أنه ليس سطحي ولا بسيط وأنه يتطلب جهدا لاستجلائه سواء في الشعر أو في النثر أو في غيره من أشكال التعبير الأخرى.

تعريف الأسلوبية:

مقارنة بمصطلح الأسلوب يعد مصطلح الأسلوبية مصطلحا حديثا، والحديث عنه يفرض علينا الاحتراز لأنه يتدخل مع حقول معرفية كثيرة منها: النقد الأدبي، علم البلاغة، اللسانيات، علم النص، والأسلوبية نفسها غدت أسلوبيات وهو المصطلح الذي يؤثره" **سعد مصلوح**" حيث جعله مقابلا للمصطلح الانجليزي LINGUISTIC STYLISTICS وقيده بوصف" اللسانية" مؤكدا المنطق اللساني في شرح العلاقة بين البلاغة العربية وهذا الفرع من فروع اللسانيات المعاصرة"[3].

---

[1] عبد السلام المسدي: **الأسلوبية والأسلوب**، ط2، الدار العربية للكتاب، 1982، ص 83.

[2] ينظر: بسام قطوس: **المدخل إلى مناهج النقد المعاصر**، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 2006، ص 104.

[3] ينظر: سعد مصلوح: **في البلاغة العربية والأسلوبيات أفاق جديدة**، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، 2003، ص 21.

لقد ارتبطت نشأة الأسلوبية من الناحية التاريخية ارتباطا واضحا بنشأة علوم اللغة الحديثة وذلك أن الأسلوبية بوصفها موضوعا أكاديميا قد ولدت في وقت ولادة اللسانيات الحديثة واستمرت تستعمل بعض تقنياتها.

ولقد أغلقت الأسلوبية نفسها على النص فظهرت اتجاهات فيها منها: أسلوبية لسانية، أسلوبية تكوينية، وأسلوبية إحصائية، أسلوبية بنيوية، محاولة بذلك كسر انغلاق البنيوية على نفسها، فاتحة الأبواب على التحليل والتأويل.

على أن الأسلوب وجد منذ وجود الكتابة فكل خطاب يتوفر على أسلوب. ومن محاولة تمييز خطاب ما عن خطاب آخر تشكلت نظريات الأسلوبية. من هذا المنطلق نقول أن الدرس الأسلوبي ليس جديدا.

وهي عند كثير من الدارسين تطور للفكر الشكلاني باعتبارها منهج نقدي جديد يهدف إلى إلغاء البلاغة القديمة وإحلال بلاغة جديدة وهناك من لا يعدها منهجا نقديا جديدا يستهدف إلى إلغاء البلاغة القديمة وإحلال بلاغة جديدة مكانها تقوم دعائمها على الجمالية والوظيفية بل هي مجرد وسيلة في تحليل النصوص الأدبية.

الأسلوبية طريقة حديثة لتقويم جمالية النص وقيمته الاستطقية، وتقدير ملامحه الوظيفية، فإذا كانت اللغة ثوب الفكر فان الأسلوب هو التصميم الذي يخاط طبقا له هذا الثوب. ولا يعنينا هنا التفريق بين البلاغة والأسلوبية لان الأكيد أن الطالب قد عرفها في مقاييس أخرى.

ما يعنينا هنا أن الأسلوب هو موضوع بحث الأسلوبية التي تبحث بدورها في قوانين الاستعمال اللغوي وشذوذه، وواجب التحليل الأسلوبي إنما هو وصف الأسلوب، وتفسيره في النصوص الفردية، والبحث في علاقة التناسب القائمة بين أجزاء النص.

والواضح أن كلمة أسلوبية ظهرت خلال القرن التاسع عشر وبدأت تتأصل خلال السنوات الأولى من القرن العشرين وقد انبرى "**شارل بالي**" لدراسة الأسلوب بالطرق العلمية اللغوية فعمل على إرساء قواعد الأسلوب من خلال بنيوية اللغة مستفيدا من أطروحات "سوسير"، وعليه يشير بعض المؤرخين إلى أن "**بالي**" هو من أصل لعلم الأسلوب سنه **1902**، حيث نشر كتابه الأول "بحث في علم الأسلوب الفرنسي" ثم أتبعه بعد ذلك بعدة دراسات أخرى نظرية

وتطبيقية، ومن هنا نعت بأنه المؤسس الأول للأسلوبية وقد عرفها بأنها: "العلم الذي يدرس وقائع التعبير اللغوي من ناحية محتواها العاطفي أي التفسير عن واقع الحساسية الشعورية من خلال اللغة وواقع اللغة عبر هذه الحساسية" [1].

إن هدف الأسلوبية يتمحور حول اكتشاف القيم اللسانية المؤثرة ذات الطابع العاطفي، وبما أن الأمر كذلك فقد حصر " **بالي**" مجال الأسلوبية في الكلام الجاري بين الناس.

إذن موضوع الأسلوبية هو الأسلوب لان التفكير الأسلوبي يستند إلى "جملة من فرضيات العمل يستقي جلها من قواعد اللسانيات عامة وعلم الدلالة منها خاصة، وأبرزها ظاهرة تقاطع المجالات الدلالية لمجموع دوال الرصيد المعجمي في لغة ما، ذلك أن مواضعة اللغات في مبدأ النشأة أن يكون لكل دال مدلول واحد، ولكل مدلول دال واحد، غير أن جدلية الاستعمال ترضخ عناصر اللغة إلى تفاعل عضوي بموجبه تنزاح الألفاظ تبعا لسياقاتها في الاستعمال عن معانيها الوضعية، فضلا عما تدخله القنوات البلاغية من مجازات ليست هي في منظور اللغوي إلا انحرافات عن المعاني الوضعية الأولى، وجملة ما ينتج عن ذلك أن أي دال في لغة ما لابد أن تتعدد مدلولاته من سياق إلى آخر، وكذلك أي صورة ذهنية مدلول عليها لابد أنها واجدة أكثر من دال في نسيج نفس اللغة المعينة، وهكذا تترقى فرضية البحث شيئا فشيئا حتى تعمم المصادر فتنسحب من الألفاظ مجردة إلى الصور والرسالات الدلالية عامة، فيقع الإقرار عندئذ بأن أي فكرة من الأفكار يمكن إبلاغها بإشكال و كيفيات متنوعة، ومعنى ذلك أن نفس الشحنة الإخبارية يمكن سبكها في صياغة لسانية متعددة، وهذا المبدأ من شأنه أن ينفي وحدانية العلاقة بين البنية الخارجية للظاهرة اللغوية وأبنيتها القاعدية الحاملة للأسس الدلالية" [2].

---

[1] صلاح فضل: **علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1985، ص 15.

[2] عبد السلام المسدي: **الأسلوبية والأسلوب**، ط 2، الدار العربية للكتاب، تونس، 1982، ص 58-59.

من هذا التعريف نستنتج أن هناك تداخل بين اللسانية والأسلوبية والبنيوية على اعتبار انبثاقها جميعا من الفكر اللغوي وهذا ما يوطد الترابط بين هذه المدارس من ناحية الاتجاهات والأدوات الإجرائية، واللغة قاسم مشترك، باعتبارها آلية من آليات اشتغال اللسانية والأسلوبية والبنيوية.

وإذا كان الأسلوب نظام لساني مفعم بالقيم الجمالية فان الأسلوبية مجموعة من الإجراءات والأدوات التي تتقصى مخابئ النص وتكشف كنوزه المكبوتة وتلاحق الحقائق والبنى الأسلوبية، وتحاول اكتشافها كالبنية العروضية، والبنية الصوتية والبنية التركيبية والبنية الدلالية وغيرها من البنى.

أمر آخر لابد على الطالب من الإلمام به هو علاقة الأسلوبية بالنقد الأدبي والتي أحسبها علاقة تداخل وإفادة ذلك أن الأسلوبية مدرسة لغوية تعالج النص الأدبي من خلال: العناصر، المقدمات الفنية، الأدوات الإبداعية، وهذا بواسطة اللغة التي تصف النص الأدبي، ولعلها أيضا عملية نقدية، أقصد الأسلوبية ترتكز على الظاهرة اللغوية وتبحث في المجال المحتمل للنصوص.

ثم إن النقد يعتمد على صحة اللغة وجمالها، لذلك ستكون الأسلوبية جسرا يربط بين علم اللغة والنقد الأدبي لذلك يرى "صلاح فضل" أن " النقد الأدبي يمثل الدائرة الثالثة التي تتداخل فيها الأسلوبية وتشتبك معها، لا لكي تقدم منهجا بديلا كما يتوهم بعض العرب وإنما لكي تقدم النقد بقاعدة صلبة تستطيع أن تسهم في توجيه الفروض التفسيرية الشارحة وتضع أساسا علميا للتأويلات اللاحقة.

فالنقد يفيد من معطيات الأسلوب ويوظف نتائجها لكي يجيب على تساؤلاته الأكثر غوصا في طبيعة العمل واستكشافا لعلاقاته المتعددة فيما وراء اللغة" [1].

[1] صلاح فضل: **مناهج النقد المعاصر**، ص 93.

إذا الأسلوبية لا تنطق بالحكم الذي ينطق به النقد ولا تجيب عن سؤال لماذا؟ الأسلوبية حسب المسدي "لا تطمح إلا أن تكون رافدا موضوعيا يغذي النقد فيمده ببديل اختياري يحل محل الارتسام والانطباع حتى تسلم أسس البقاء النقدي" [1].

وعليه الأسلوبية ليست بديلا عن النقد ولا النقد بديلا عن الأسلوبية، لان كليهما يقدم ما لا يمكن للآخر تقديمه.

اتجاهات الأسلوبية:

لا يمكن حصر الإنتاج الأسلوبي في زاوية معينة، لذلك تتباين الاتجاهات الأسلوبية بتباين مرتكزاتها الثلاث (المبدع– النص – المتلقي) ذات الأرضية اللسانية المحضة، ولعل أهم اتجاهات البحث الأسلوبي: الأسلوبية الوصفية، الأسلوبية التعبيرية "شارل بالي"، الأسلوبية الأدبية، الأسلوبية الوظيفية، الأسلوبية البنيوية "ميشال ريفاتير" أما صلاح فضل فيحصر البحث الأسلوبي في ثلاث اتجاهات هي" الاتجاه التوليدي، والاتجاه المعتمد على نظرية الشعرية النصية، والثالث المتمثل في الأسلوبية الوظيفية المرتبطة باختيارات القراءة وردود الأفعال الناجمة عنها" [2].

وهناك فريق يضيف إلى الأسلوبيات السابقة الأسلوبية الإحصائية التي تتوسل الواقع الإحصائي للنص.

والحق أن هذه الأسلوبيات جميعها تتضافر لقراءة هذا النص والقبض على الجانب الجمالي فيه. اختصارا أيا كانت اتجاهات الأسلوبية فالأكيد أن الأسلوبية العربية قد "احتفظت بتقسيمات الأسلوبية الغربية" [3].

---

[1] عبد السلام المسدي: المرجع السابق، ص 115.

[2] صلاح فضل: المرجع نفسه، ص 92.

[3] يوسف وغليسي: **مناهج النقد الأدبي**، ط1، جسور للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2007، ص 87.

رواج الأسلوبية في النقد العربي المعاصر:

مثلما تعددت الاتجاهات الأسلوبية في الغرب، تنوعت كذلك أساليب النظر واتجاهات البحث الأسلوبي لدى العرب نظرا لتعدد المنابع الثقافية واختلاف التصورات المعرفية، الفكرية والجمالية عند العرب، وربما أمكن الإشارة السريعة إلى بعض الأسلوبين العرب الذين عدوا الأسلوبية اتجاها بذاته يمثل بديلا للبلاغة العربية، واعتبروها منهجا مناسبا للتعامل مع النصوص الأدبية وتقويم جمالية النص وتقدير ملامحه الوظيفية[1].

لقد أتاح الكثير من الباحثين الأسلوبين التعريف بالدرس الأسلوبي وبأسسه المنهجية ثم الإشارة إلى التحليل العلمي والموضوعي عبر أدوات منهجية غذت الممارسة التطبيقية على النصوص وفق رؤية أسلوبية، ولعل الدراسات الأسلوبية لكثير من النقاد والأسلوبين العرب تعد شاهدا على ما أضافوه من لبنات شكلت تراكما كميا ومعرفيا خدم الساحة النقدية العربية المعاصرة.

لقد "انتقلت عدوى الاتجاهات الأسلوبية إلى الساحة النقدية العربية في مرحلة الستينات، ولم تكن الأقلام العربية المعاصرة بمنأى عن هذه الطيوف الأسلوبية الجائرة، فقد اجتاحت واكتسحت الأسلوبية عالم النقد المعاصر في الفترة الممتدة من أواخر الخمسينات وبداية الستينات، محملة بلقاح الفكر الغربي، حيث حلت الأسلوبية ضيفة كريمة في بيوت نقدنا العتيق البالي في بواكيره الأولى من مرحلة الحداثة" [2].

لقد تلقف النقاد العرب النقد الأسلوبي وفق تيارين تيار تراثي متشبث بالبلاغة العربية، ومباحثها الرئيسية، وتيار حداثي متشبع بأفكار الأسلوبية الغربية وبدرسها اللساني الحديث، وهذا ما غذى البحث الأسلوبي العربي لذلك "غدت قضية العلاقة بين الأصيل والوافد في الدرس الأسلوبي هي محور الجدل الأكاديمي والممارسة التطبيقية بين الباحثين" [3].

---

[1] ينظر: عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، ص 48.

[2] بشير تاوريريت: المرجع السابق، ص 199.

[3] بسام قطوس: المرجع السابق، ص 112.

وقد تزعم الفريق الذي يعلن الاستمرارية بين البلاغة العربية والأسلوبيات المعاصرة " صلاح فضل وعبد السلام المسدي" وهي في رأيهما تكملها وتستفيد من مقولاتها، في حين نجد الفريق الآخر قد قال بضرورة إحداث القطيعة بين البلاغة والأسلوبية وقد تزعمه "سعد مصلوح" الذي قام بتطبيق بعض معادلات الأسلوبية الإحصائية في كتابه "الأسلوب".

"ولقد بدأت الأسلوبية في نقدنا العربي الاحترافي تأخذ طريقها نحو الاكتمال والنضج بتأثير تلك المناهج اللسانية الحديثة والبحوث التي تستند إليها، وبفعل تزاوجها وتفاعلها مع النقد الأدبي الحديث وتنامي الإحساس بتأثر النقاد العرب المعاصرين بهذا التيار الوافد، ومن الأسماء اللامعة التي أسست للأسلوبية – في وطننا العربي– تنظيرا وممارسة نذكر: الناقد التونسي عبد السلام المسدي في كتابه "الأسلوبية والأسلوب سنة **1977**" و" النقد والحداثة سنة **1983**" إلى جانب المسدي نجد الناقد السوري "عدنان بن ذريل" في كتابه "اللغة والأسلوب سنة **1980**" و" محمد شكري عياد" في بحثه القيم "الأسلوبية الحديثة محاولة تعريف" والمنشور بمجلة فصول السنة سنة **1981**" ثم الناقد المصري صلاح فضل في كتابه "علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته سنة **1982**" و " أساليب الشعرية المعاصرة سنة **1994**" كما نلتقي أيضا بـ شكري عياد في كتابه "الإبداع، مبادئ علم الأسلوب العربي سنة **1988** " يضاف إلى هذه الأسماء "محمد عزام في كتابه "الأسلوبية منهجا نقديا سنة **1989**" وعبد الهادي طرابلسي في كتابه "خصائص الأسلوب في الشوقيات سنة **1981**" و كتابه القيم " تحاليل أسلوبية سنة **1994**" ومن الأسماء الجزائرية نذكر عبد الحميد بوزوينة في كتابه " بناء الأسلوب في المقالة عند الإبراهيمي سنة **1988**" ورابح بوحوش في كتابه " البنية اللغوية لبردة البصيري سنة **1993**" وتوالت البحوث الأسلوبية فيما بعد لتشهد فضاءا فسيحا، ونشرا واسعا في الكتب والمجلات" [1].

[1] بشير تاوريريت: المرجع السابق، ص 201، 202.

هذا وقد ركز بشير تاوريريت في كتابه على أخصب المحاولات العربية الأسلوبية وعد كتاب " الأسلوبية والأسلوب" لعبد السلام المسدي من أخصبها وفصل في شرح فصول هذا الكتاب وعرج إلى كتاب محمود عياد "علم الأسلوب " وكتاب "مدخل إلى علم الأسلوب" لشكري عياد"، وعد دراسة "الأساليب الشعرية المعاصرة" من الدراسات الجادة التي أثارت إشكالية المنهج الأسلوبي في النقد العربي الحديث، وفي نهاية عرضه لرواج الأسلوبية في الوطن العربي أكد على أنه " ثمة مجلات عربية متخصصة حظيت فيها الأسلوبية باهتمام خاص ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر. عدد خاص بالأسلوبية في مجلة فصول مج 5، في عددها الأول، وقد تضمن هذا العدد أبحاث أسلوبية متميزة، على شكل مقالات منها ما تعلق بالأسلوبية التراثية من خلال إماطة اللثام على موضوع النظم عند عبد القاهر الجرجاني، ومنها ما تعلق بصلة علم اللغة بعلم الأسلوب، وثمة مسائل أخرى بالغة الأهمية" [1].

وهكذا أخذ النقد القائم على الأسلوبية التي انبثقت من الفكر اللغوي، أخذ يتخذ لنفسه مسارا في النقد العربي المعاصر، مسار مستقل عن جوانب ثقافية كثيرة، وتبوأت نظرية الأسلوبية المنزلة التي تعرف اليوم ضمن تيارات النقد المعاصر.

والأسلوبية في حقيقتها لا تعدو أن تكون إلا تطور للفكر الشكلاني، وتقتصر أهميتها في الأدوات التي يستخدمها النقاد والدارسون في الحكم على الإنتاج الأدبي لأنها ترتبط ارتباطا واضحا بنشأة العلوم الحديثة ولأنها ولدت وقت ولادة اللسانيات الحديثة واستمرت تستعمل بعض تقنياتها.

ولقد اهتم الباحثون العرب بالأسلوبية بجميع اتجاهاتها فها هو صلاح فضل يعرض للآراء "شارل بالي" باعتباره المؤسس الفعلي للأسلوبية وباعتباره رائد الأسلوبية التعبيرية الوصفية، وقدم صلاح فضل طريقته في تحليل الوقائع الأسلوبية في الكلام العفوي، وأوضح المباحث التي تناولها وآرائه في الفكر والحياة عبر اللغة .....

---

[1] المرجع نفسه: ص 205.

ولا يكتفي صلاح فضل بعرض أراء "بالي" بل يناقشها ويشير إلى كيفية استفادة اللغة العربية من التحليلات اللغوية والبلاغية [1].

وحاول "حمادي صمود" تحديد الخصائص النظرية التي يقوم عليها اتجاه "شارل بالي" في الأسلوبية، فعرض آراءه في اللغة وعلاقتها بأوجه حياة المتكلم، باعتبار الأسلوب تعبير ونشاط لغوي، ويري أن هذا الأخير أسس نظرية الأسلوبية على اعتبارات جوهرية.

ولعل هذه الجهود التأصيلية العربية في مجال البحث الأسلوبي العربي قد أعقبتها ممارسات تطبيقية، شكلت المشروع التحديثي الذي سعى الأسلوبيون العرب إلى إرسائه.

وعلى الرغم مما وجه للدراسات الأسلوبية العربية من نقد تمثل أساسا في محدودية بعض دراساته، واضطراب بعض دارسيها، أو افتقارهم إلى المنهج الصارم وعدم التزام روح البحث الرصين واتسام بعض دراساتهم بالغموض والتعقيد المبالغ فيه، فإن الدارس المنصف لا ينكر قيمة ما أتاحوه للدرس الأسلوبي من التعريف بالأسس المنهجية التي بنيت عليها الأسلوبية، والإشارة إلى اعتمادها التحليل العلمي الموضوعي، وتيسيرها للأدوات المنهجية التي غدت ركنا معرفيا مهما للممارسة التطبيقية. ولعل تلك الدراسات التطبيقية لهؤلاء النقاد والأسلوبين تكون شاهدا على ما أضافوه من جديد للنقد العربي المعاصر.

"وفي ختام محطتنا هذه يمكن القول أن هذه الدراسات الأسلوبية في منعطفاتها النظرية والإجرائية ماهي إلا قليل مما هو كثير، وهي تختلف باختلاف الطرائق الأسلوبية المنتهجة، فالأقلام السالفة الذكر ارتمت جميعها على ضفاف الدرس الأسلوبي مغذية روحها النقدية بأليات وإجراءاته الصارمة، بل نهلوا من اتجاهاته المتباينة، كل واحد بحسب مقدرته القصدية وبالتالي جاءت دراستهم الأسلوبية ملونة بألوان مختلفة ... "[2].

---

[1] ينظر: نورالدين السد: **الأسلوبية وتحليل الخطاب دراسة في النقد العربي الحديث، تحليل الخطاب الشعري والسردي**، ج1، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، بوزيعة، الجزائر، 1997، ص60، 64.

[2] بشير تاوريريت: المرجع السابق ص 205.

ولعل النقاد المعاصرين العرب حين درجوا إلى استخدام المنهج الأسلوبي في تحليلهم لكثير من النصوص أرادوا بذلك إعادة إحياء التراث، لقد أرادوا إحياء تلك النشوة التراثية ضمن نظرة شمولية. تمكن القارئ من الوقوف على جماليات النص الأدبي القديم ضمن نظرة فاحصة تخدم النص وتكسبه حلة جديدة تعطي كل ذي حق حقه سواء كان مبدع أو متلقي أو نص.

لقد نالت الأسلوبية حظوة ومكانة في الساحة النقدية بفضل هؤلاء النقاد العرب وبفضل كتبهم، مصنفاتهم وبحوثهم إلا أنها لم تصل إلى ابتداع منهج أسلوبي عربي صرف " إننا نقول مع بشرى موسى صالح : "إذا ما أردنا صياغة توصيف نقدي ينطبق على أكثرها، نقول : أن الجهود النقدية الأسلوبية لم تصل بعد إلى ابتداع منهج عربي أسلوبي، تضرب جذوره في واقعنا النصي الشعري العربي، إذا إنها ولاسيما في مرحلتها الأولى تقبس من الاتجاهات و المناهج الأسلوبية النصية العربية من دون امتلاك فلسفة أو رؤية نقدية تحكم سلطة الأخذ، أو تبررها ... " إن الأسلوبية العربية بهذا التصور لا تزال في بداية الطريق لعدم امتلاك منظريها ومطبقيها رؤية نقدية تنبثق من حس فني فياض يمزج، يمكن الناقد الأسلوبي العربي من تصيد الأقباس الجمالية المتمردة والمختفية في روح النص وما يغذي الشجرة الأسلوبية بنسغها الحي هو ارتكازها إلى جذور معرفية عربية وغير عربية، ومزجها بمعطيات المعرفة الحديثة وذلك بهدف تخطي مجمل الصور الآلية التي ظهر بها النص هيكلا جامدا، هذا ما يمكن قوله عن رواج الأسلوبية وذيوع صوتها في وطننا العربي تنظيرا وممارسة"[1].

إذن لا أحد ينكر جهود العرب المحدثين و المعاصرين في إرساء معالم الدرس الأسلوبي الذي كان فيه النص والخطاب الأدبي أولا وقبل كل شيء هو موضوع الدراسة ضمن منهج لغوي بالمفهوم العلمي لهذا المصطلح، وهنا سعت الدراسة الأسلوبية إلى تقديم معرفة متخصصة لتيسير الكثير من القواعد المنتجة إما تنظيرا أو تطبيقا للارتقاء إلى مستوى الرؤية الموضوعية التي تهيئ الصفة العلمية لأي بحث في النقد العربي المعاصر. لذلك تبقى الأسلوبية لبنة ودعامة في الممارسة

[1] بشير تاوريريت: المرجع السابق، ص206.

النقدية فيها الكثير من النقائص وهي "لا تطمح إلا أن تكون رافدا موضوعيا يغذي النقد فيمده ببديل اختاري يحل محل الارتسام والانطباع حتى تسلم أسس البقاء النقدي"[1] .

وقبل إنهاء الحديث عن النقد الأسلوبي لا بد من التعريج على ذكر أهم المآخذ والعيوب التي قيلت في هذا النقد.

عيوب النقد الأسلوبي :

لا شك أن هناك تحفظات ومآخذ عيبت على النقد الأسلوبي في قراءة النصوص الأدبية ولعل أبرزها ما يلي:

1. الكثير من الأسلوبين يقعون في إشكالية الوقوف على الإحصاء كهدف وليس كوسيلة في الدراسة الأسلوبية .

2. الغلو في الإحصاء يخرج الدراسة الأسلوبية عن مسارها الصحيح.

3. عدم مراعاة تأثير السياق مع عظيم تأثيره في التحليل الأسلوبي .

4. تقديم الكم على الكيف في القراءة الإحصائية الأسلوبية .

5. عجز النقد الأسلوبي عن التقاط الكثير من الملاحظات الحقيقة في الأسلوب.

6. إغراق الأسلوبية في المناظرات والمحاضرات والدعاوي النظرية وهذا ما أوقعها في كثير من الشطط.

7. بقيت بحوث النقد الأسلوبي نظرية عجز الكثير من النقاد على تعلمها وتطبيقها على كثير من النصوص.

8. لا يوجد حتى اليوم تعريف دقيق واضح للأسلوب ولا للنظرية الأسلوبية.

9. تحول النقد الأسلوبي إلى أكداس من الجداول الإحصائية التي تفقد النص جماليته وتجعله يرصد عديد الانزياحات التي لا تخدم قراءة النص.

10. الأسلوبية لم تكن وفيه لأنها ادعت أنها تدرس الأسلوب كله وإذا بها تقتصر على جانب من الأسلوب فقط.

11. الإبداع الأدبي فيه شيء من الفرادة والنقد الأسلوبي خاص أدواته الإجرائية قاصر تحتاج إلى أدوات واسعة للإلمام بالتجربة الإنسانية.

---

[1] عبد السلام المسدي: **الأسلوبية والأسلوب، نحو بديل ألسني في نقد الأدب**، د.ط، الدار العربية للكتاب، تونس، د ت، ص115.

12. في كثير من الأحيان يكون النقد الأسلوبي نقدا معياريا، تتميز تصنيفاته بالجفاف، الجزئية، والشكلية.

13. " على كل حال فإن الدراسة الأسلوبية تتميز بطابعها التراكمي، بمعنى أن البحوث الأولى فيها لا تعد بنتائج تكافئ الجهد الذي يبدل فيها ..." [1].

[1] صلاح فضل: المرجع السابق، ص91.